

لمحة تاريخية عن الغزل العذري

*الدكتور كفايت الله همداني

**الدكتورة سلمى شاهدة

Abstract:

Ghazal has always been one of the central themes of Arabic poetry through the history. However it is divided into two main streams; namely permissive and platonic. The permissive has been relevant to the physical beauty of beloved and practical desires of lover for his beloved. On the other hand, the platonic spoke of chastity and patience; without any desire of physical love.

In this article we have discussed the historic facts of the platonic Ghazal wherein it originated. Although some effects of platonic Ghazal have been found throughout the history of Arabic literature, however it was Umayyad period when it emerged as a distinctive genre of love poetry. This is what the article is all about.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، أرسله بالنور واليقين ورحمة بالكتاب المبين، وبعد: -

فإن الحب عاطفة تسكن الأفئدة لتعمر القلوب، لأن فيها الخير كله والله هو الحب، والحب المحرك للإنسان في الحياة، وتقيضه يُفقر الإنسان ويهدم والحياة، فهو سر إلهي ولد مع بدء الخليقة، وحين أصبح اللقاء والافتراق، والوشاة والعدال شواهد الأحداث التي تمر، والعوائق نخك التي لا تنتهي، أصبح طريق الحب محفوفًا بالمخاطر

* الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

** الأستاذة المساعدة بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

والشوق والهيام، والأرق، فهام من هام، وتعذب من تعذب فمنهم من بلغ ضالته، ومنهم من أضاع مبتغاه، وماتت الأخبار مع البشر لكن أشعار الشعراء لم تمت لأنها جسدت مناخات هذا الحب، ولأن الإنسانية كانت تقول الشعر تعبيراً عن عواطفها ومشاعرها، فإن العرب أكثر الشعوب التصاقاً بحب المرأة والذود عنها، والتعبير عن عواطفهم تجاهها أو تجسيد معالم جمالها ومفاتها.

ماهية الغزل العذري

إن كل ظاهرة أدبية لا تنطلق من فراغ، إنما تفرزها عوامل اجتماعية وسياسية وعقائدية واقتصادية، ولا شك أن ظاهرة الغزل العذري ظاهرة تتضارب الآراء حول نشأتها واستقرارها كفن شعري مستقل، فالغزل غرض من الأغراض الشعرية في الشعر العربي والأجنبي منذ أن وجد ولحد الآن، إذ أنه بدأ مع بداية العلاقة بين الرجل والمرأة في الخليقة لكنه لم يتضح ويتبين كغرض شعري بارز إلا عندما أخذ الشعراء يتبارون فيما بينهم بالأغراض والموضوعات الشعرية، ثم أخذ يتحدد ويتخصص فيما بعد حتى أصبحت له اتجاهات محددة، وكل اتجاه اختص به مجموعة من الشعراء يحملون الميزات والصفات التي تثبت كسمات يعرف بها كل اتجاه على حدة، بعد أن استقر الغزل كفن بارز في العصر الأموي وقسم على اتجاهين عرف كل منهما حسب مميزاته وخصائصه الدقيقة، فالإتجاه الحسي عرف بالمجون ووصف المفاتن الحسية للمرأة، ومغامرات الشاعر معه، ووصف ما لا يليق وما لا يجوز أن يذكر وشعراء هذا الإتجاه يتزعمهم عمر بن أبي ربيعة، سلكوا هذا المسلك وساروا عليه وهو ما كان سائداً في عصر ما قبل الإسلام.

نشأة الغزل العذري و تاريخه

أما الاتجاه العذري، فقد عرف بشكله النهائي واستقر بوصفها ظاهرة وازدهر في العصر الأموي علما أنه لم تخل العصور التي سبقت العصر الأموي من جذور وبوادير الغزل العذري وهو وليد العشق العفيف الطاهر وليس من المعقول أن تخلو العصور التي سبقت العصر الأموي من العفة والطهر والوفاء للمعشوقة أي التفرد بمعشوقة واحدة طوال حياة العاشق، فالبذرة نبتت في العصر الجاهلي ثم (اكتملت له السمات المميزة واستقرت تقاليده ومقوماته التي اكتسبت معها صورتها الاخيرة وشكله النهائي الثابت)⁽¹⁾، وقد تضاربت آراء الدارسين والنقاد حول الغزل العذري، هل هو جاهلي؟ أم اموي خالص؟ فمنهم من يرى أن الاتجاه العذري والحسي (لا يمثلان إلا امتدادا للغزل الجاهلي)⁽²⁾، وليس في ذلك إنكار من أنه (نما وتطور وسطع ضوء في العصر الأموي)⁽³⁾.

وكانت ولادته الحقيقية في العصر الجاهلي، لأن (مولد أظهر ألوان الحب والغزل في خيام عرب الجاهلية السمراء، حيث الظهارة في التربة والجو، وحيث ينظر البدوي إلى البدوية نظرة الكفاء الشريف الحبيب)⁽⁴⁾، ويستدل على ذلك بوجود شعراء الغزل العذري في العصر الجاهلي، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء، وعبد الله بن عجلان صاحب هند وعنزة بن شداد صاحب عبلة، فهم تعلقوا بمعشوقة واحدة ولم تزغ قلوبهم وتميل إلى غيرها من النساء وهذه سمة من سمات الحب العفيف الطاهر الذي يعد ظاهرة روحية يتعلق العاشق بواسطته بمحبوبة واحدة يرى فيها مثله الأعلى الذي يحقق له المتعة الروحية، ورضي النفس واستقرار العاطفة، وهو استقرار يجعل فتنته بوحدة تقف عندها أماله وتحقق فيها كل أمانيه)⁽⁵⁾ فهو حب يعتمد على الروح وليس على الجسد، وهو (صورة نادرة لاستحواذ العاطفة على القلب وغلبتها على المشاعر حتى تصل بصاحبها إلى الموت)⁽⁶⁾.

وجود الغزل العذري في الجاهلية والإسلام

ومن الدارسين من ينكر وجوده في الجاهلية، ويصر على أن هذا الفن هو وليد العفة والروح الإسلامية، ومنهم من يؤكد برأيه على (أن هذا الحب ظاهرة إسلامية كان للدين الجديد والنظام الاجتماعي الذي جاء به أثره الأول في خلقها وإخراجها على هذه الصورة)⁽⁷⁾، ويرى الآخر، بأن (الحب العذري شاع بخاصة في بادية الحجاز وأطرافها أيام الأمويين، ولم يكن للشعر العربي عهد بمهذبة العاطفة في العصر الجاهلي)⁽⁸⁾. كما أن فيهم من يؤكد بأن صفاته إسلامية ولم تكن موجودة عند الشعراء الجاهليين وعندهم أن (هذا اللون الذي يوقف فيه الشاعر حياته وحبه وشعره على محبوبة واحدة، هو الذي يعرف بالحب العذري نسبة إلى بني عذرة، وهي قبيلة بدوية من بني قضاة اشتهر شبابها بالحب البريء الصادق والهوى العفيف المغني، والموت في سبيل المحبوب، حتى قيل لرحل منها، ما بال العشق يقتلكم يا بني عذرة؟ فقال: لأن فينا جمالا وعفة، وهذا النوع لم يكن له وجود قبل هذا العصر، فهو بمهذبا جديدا كل الجدة)⁽⁹⁾، ولا يمكن أن نقف مع هذا الرأي لأنه يطعن الأخلاق العربية الأصيلة والتقاليد البدوية والروح الأخلاقية للمجتمع العربي الذي نزل فيه القرآن بعظمته وإعجازه فأثبت الكثير من القيم والأخلاق التي كان عليها العرب قبل الإسلام، ونفى ما هو منبوذ أو مناف للشرع الإسلامي في كل زمان ومكان كشرب الخمر والزنى والسرقه والميسر والتهاك والمجون، وهذه صفات موجودة عند المهتكين خلقا في كل الأزمان ولا يقاس عليهم المجتمع فالغزل العذري موجود في العصر الجاهلي لكنه لم يكتمل كظاهرة منفردة عن الظواهر الأخرى إلا في عصر بني أمية. فثبت وجوده واستقر نتيجة لما وجد الشعراء من الحرمان والمعاناة التي لم يكونوا عانوها في العصر الجاهلي، فكانت الحياة مفتوحة أمامهم، أما في عصر بني أمية، فإن الصراعات على السلطة وانحسارها بأيدي معينة، وسيطرتها على كل جوانب الحياة، جعلتهم يحسون بالغبن والتفرقة، فأخذوا يعبرون بحجارة

عن عواطفهم وانفعالاتهم وما يشعرون به من الحرمان في كل النواحي، فنتجت هذه الظاهرة واستقرت، لأنها تعبير عن واقع يعيشونه في العصر الأموي وإن كانت الإباحية قد غلبت على شعراء العصر الجاهلي، فإن (بعضهم الآخر عرف كيف يكتوي بنار الحب المكبوت والشوق المقيم ضمن دائرة من الروحانية الضيقة)⁽¹⁰⁾، وأصدق مثال على ذلك قول عنتره⁽¹¹⁾:

ريح الحجاز بحق من أنشأك ردي السلام وحيي من حياك
يا ريح لولا أن فيك بقيه من طيب عبلة مت قبل لقاك
كيف السلو وما سمعت حائماً يندبن الا كنت أول براك
يا عبل ما أخشى الحما وإنما أخشى على عينك حين براك

فالبذرة مغروسة في العصر الجاهلي لكن ماءها ونماءها لم يتوافر لها إلا في العصر الأموي، فقد تميز بظواهر جديدة في الشعر نتيجة لآثار التبدل الذي طرأ على الحياة العربية، فكانت تجربة الشاعر مع المرأة تنطوي على رغبته بالحياة وحبه لمتعتها، وإحساسه بقيمتها ولذتها، فالمرأة رمز للحياة في عنفوانها، الحياة المنعمة بجمالها وأنوثتها وفتنتها لذلك اتخذ الشعراء لونا من الحب والغزل عماده الصدق في العاطفة، والعفة في القول، والتفاني في المحبوب، والصراحة في الحب، فلا يتناول الشاعر مفاتن الجسد، ولا محاسن الأعضاء مما يثير الشهوة أو يناقض العفة، وإنما يعتمد على المعاني الروحية والنوازع القلبية، ويشكو ما يكابده من آلام البعد وقسوة الحرمان، وظل الشعراء العذريون يكابدون ولم يفلحوا في حل مشكلة الصراع في نفوسهم أو إقناعها بان المسألة قدر مقدور من الله لا يملكون شيئاً عليها، أو ترويضها على الرضاء بالحرمان الذي فرض عليهم وكانت كلها محاولات قد ينجحون فيها أحيانا، وقد يخفقون فتظهر في شعرهم الشكوى الموجعة والأانات التي لا تنقطع والهموم المضمنية،

والدموع المنسكبة التي لا يملكون إخفاءها، والسخط الذي لا يقدرّون على التخلص منه وجميع شعرهم نجد مطبوعا بطابع الحزن والبكاء، حيث يغلب على شعرهم ويعد أقوى الطابع وأعمقها⁽¹²⁾.

لقد كان الإسلام مكملا لمكارم الأخلاق العربية الأصيلة التي توجت بالأيمان، قال تعالى: (وَليَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْزِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)⁽¹³⁾.

مكوّنات الغزل العذري

هناك عوامل وظروف عديدة ساعدت الشاعر العذري على إتمام بذرة في نفسه حتى أصبحت شجرة مثمرة إلا وهي الغزل العذري، حيث اشترك في ظهور هذا النوع من الغزل عاملان هما (الإسلام بما فيه من قيم روحية ودعائم أخلاقية، ونظام الحكم الأموي ساعد على اشتداد هذا التيار بما فيه من عشق روحي نبيل وحزن متدفق عفيف)⁽¹⁴⁾.

فالقسوة والحمران تنعكس في النفس الإنسانية، فتظهر ما تعانیه بالطريقة التي تتلائم مع الأحداث والتي يسمح بها الواقع دون ان يجلب لنفسه الأذى.

ويرى الدكتور طه حسين: أن سبب ظهور هذا الفن مستقلا في العصر الأموي يرجع إلى عدة عوامل أبرزها، يأس المسلمين في حاضرة الحجاز وباديتها من استعادتها المجد الذي كان للحجاز قبل أن تنتزعه دمشق، عاصمة الأمويين الذين أساءوا الظن بأبناء الحجاز، وكان إلى جانب هذا اليأس تدفق الأموال من دمشق إلى الحجاز لأشغال الشباب عن المعارضة السياسية⁽¹⁵⁾. وقد أشار الدكتور عبد القادر القط⁽¹⁶⁾، إلى عدة أسباب أسهمت في ظهور الغزل العذري في العصر الأموي منها سياسية، واجتماعية، ودينية، وحضارية أدت إلى اليأس عند أهل بادية الحجاز مما دعا ذلك الى نشوء هذا النوع من الغزل الذي يعبر به عن حالة اليأس والإحباط عندهم، (لكننا

نواجه في الشعر العذري... حديثا يوميا بأنه يتجاوز عاطفة الحب - دون تعسف في التأويل - إلى كثير من الدلالات والرموز، يمكن أن يتخذ بعضه رمزا مناسبا لحالات نفسية أخرى غير الحب⁽¹⁷⁾، ومن ذلك قول المجنون⁽¹⁸⁾:

وان أك عن ليلي سلوتُ فإنما تسلّيت عن يأسٍ ، ولم أسلُ عن صبرِ
وان يكُ عن ليلي غنىً وتجلُّدُ فزُربُ غنى نفسٍ قريبُ من الفقرِ
وقول كثير عزة⁽¹⁹⁾

فان سأل الواشون فيم هجرتها فقل نفسُ حُرِّ سُلّيتِ فَمَسَلَّتِ

وهناك إشارات أخرى ذات دلالة عامة، تشير إلى اليأس تكون أكثر التصاقا بالتجربة العاطفية، ولكنها

مع ذلك لا تخلو من دلالات على موقف من الحياة بوجه عام ، ومن ذلك قول المجنون⁽²⁰⁾:

إذا نظرتُ نحوي تكلم طرفها وجاوبها طرُفي ونحن سكوث
فواحدةٌ منها بُبشُّرُ باللقا وأخرى لها نفسي تكادُ تموتُ
إذا متُّ خوفَ اليأسِ أحيائي الرجا فكم مرّةٍ قد متّ ثم حَيَّيتُ

وثمة مصادر أضافت عوامل أخرى، منها الجانب الأخلاقي فضلا عن ما تقدم من العوامل والأسباب (فالقيم

الأخلاقية التي يمثلها الغزل العذري هي بنت البادية، التي عاش فيه العذريون في الجاهلية والإسلام)⁽²¹⁾. فالمرأة

أول كيان يحافظ عليه الرجل ويحميه لأنها شرفه، (ومن شرف البدوي أن تكون فتاته منيعة الحمى يتقاصر عنها

اللسان المتغزل كما يتقاصر عنها سيف المغير)⁽²²⁾ فمنعة المرأة عندهم فرضت الحرمان، والحرمان اقتضى الحب

العفيف، فكان تعبيرا عن هذا الحب، الغزل العفيف⁽²³⁾ ومهما كانت الأسباب التي أدت إلى نشأة هذا الفن

فهنالك من يرى (إن النعمة الحزينة اليائسة لون من الرفض الهارب من واقع الحياة السياسية إلى عالم خيالي فيه دفء المحبة وحنانها، فقد اتخذ شعراء الغزل العذري أفاصيص الحب العاطفي الملتهبة مهريا احتجاجيا يجدون فيه لقلوبهم الثائرة مجرى يحوها من تيار الثورة السياسة الخطر إلى تيار الثورة الغزلية)⁽²⁴⁾.

وبين اليأس والتترف عاش شعراء الغزل في العصر الأموي فتتج عن ذلك تياران، تيار عذري وآخر حسي، فلم تكن السياسة هدف الشاعر العذري ولم تكن كثرة المال وقلته سببا لظهوره، أنه فن نتج عن عاطفة صادقة منبعثة من أعماق نفس معذبة، ورابطة عاطفية بين الأفراد.

وسأل المأمون عبد الله بن طاهر⁽²⁵⁾ ذا الرئاستين عن الحب فقال:

يا أمير المؤمنين إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة بعثت منها لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء فتتحرك لإشراكها طبائع الحياة متصورا من ذلك خلقا حاضرا للنفس متصلا بخواطرها يسمى الحب⁽²⁶⁾.

وسئل حماد لرواية عن الحب، فقال: الحب شجرة أصلها الفكر وعروقها الذكر وأعضاؤها السهر وأوراقها الأسقام وثمارها المنية⁽²⁷⁾ ومهما قيل في الحب فانه يبقى ذلك العمق في النفس المحبة للخير والجمال⁽²⁸⁾.

شعراء الغزل العذري

ويجدر الذكر بأن هناك أربعة شعراء هم الأشهر خطابا عشقيا وسلوكا إذ اجتمعت فيهم العفة والإخلاص والوفاء والصدق في المشاعر والآلام وهجر الأهل والأحباب، حتى أن بعضهم لم ينتم إلى بني عذرة وهم قيس بن الملوّح وجميل بن معمر العامري وقيس بن ذريح وكثير بن عبد الرحمن، هؤلاء أحبوا فعمفوا وتحلوا بالصبر والجلد وتحملوا العذاب والنكد، فكانت النفس تتعذب فتشكو من الحب والمحب والمجر والنأي والغربة، وتتحمل أعباء الظروف الاجتماعية والسياسية، وكانت الشكوى تعبيراً عن شفافية الروح العذرية وفيضان النفس المعذبة ونقف هنا عند

قول ابن حزم الاندلسي⁽²⁹⁾ : (من أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه، التعفف وترك ركوب المعصية والفاحشة) فهو يحدد للشاعر العذري بأن من فضائل الأخلاق عند المحبين العذرية والعفة في حبه وترك كل ما يؤدي إلى الفاحشة من لواعج النفس الأمانة بالسوء والابتعاد عن المعصية فجعل شرط الحب الفاضل العفة.

أثر الإسلام على الغزل العذري

الحب تجربة إنسانية فاعلة كان من أهم نتائجها خلق قيمة جديدة في الحب ارتبطت بمفهوم العفة الذي أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (فَجَعَلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)⁽³⁰⁾ وهنا ركز الإسلام على مكانة المرأة وطهارتها وعفتها وجعل العذرية صفة من أوصاف نساء الجنة وهي أرقى ما يخلق الله وما يمنح لعباده المتقين، كما أنهن (العذارى) هدية الله لعباده في العالم الآخر (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)⁽³¹⁾ وهكذا ربط الإسلام بين مفهوم الحب ومفهوم العفة فحسن عاطفة الحب وجعل العفة إطارها الاجتماعي. ومن هنا نقول إن العفة هي أولى صفات الحب العذري وأبرز علاماته⁽³²⁾ ولذلك عرف بها وسمي بالغزل العفيف ويرى الدكتور محمد الجزائري أن الحب العذري مشكوك في معناه وحقيقته هي أن أقوى حوافز الحب هو الميل إلى الآخر المحبوب عاطفة واشتهاء⁽³³⁾. وهذا القول ليس فيه من الصحة شيء لأن الحب العذري فيه ميل إلى المحبوب عاطفة واشتهاء لكنه قيّد بالعفة الإسلامية، وقد وقف الشاعر العذري بين ثنائية الروح والجسد وقفة المتأمل المعجب بخلق الله سبحانه وتعالى، فأعطى الإنسان الصورة الحسنة والعقل الذي يحكم السلوك، لذلك لا نجد انفصالاً في هذه الثنائية لدى الشاعر العذري بل جسدها في صورة أروع كقول المجنون⁽³⁴⁾ :

وإني لمشـتاقٌ إلى ربيـح جـيـهـة ⁽³⁵⁾	
كما اشتاق أدريس ⁽³⁶⁾ إلى جنـة الخلد	

هذه إشارة سريعة تجعل من عفة الغزل موضع نظر لما أشار اليه جميل من رغبة تنم عليها عبارة (ربح جيها) فقد استعارها للتعبير عن الجسد والقرينة (ربح) مع طغيان المعنى الديني في عجز البيت (كما اشتاق إدريس إلى جنة الخلد) فنائية الاشتياق تتمثل في إشتياقه إلى جسد الحبيبة الذي حرص الشاعر على نقله نقلة روحانية فيعمد الى تصعيده إلى حد التسامي حيث يشبهه بشوق الأنبياء إلى الجنة التي لا تعرف الدنس، كاشتياق النبي إدريس إلى الجنة⁽³⁷⁾.

ولشدة شوق الشاعر العذري وما ينتابه من المشاعر والأحاسيس، فإنه يرى أنه لا يسمو عليه أحد بالحب والوجد. فالحب العذري لا يقوم على الزهد المطلق في المتعة الحسية وإنما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطامع الأفتدة أو مطالب الحواس.

الحب العفيف والغزل العذري

الحب العذري هو (معركة عفيفة تقع في ميدانين: الأول، ميدان الصراع بين الشاعر وهواه، والميدان الثاني، ميدان فريسه تنال بأيسر الجهد وإنما يطارد ظبية عصماء لا تنال إلا باقتحام الأهواء فوق قمم الجبال)⁽³⁸⁾. مثل العفاف عند شعراء الحب العذري جانبا أخلاقيا تجسد فيه قدرة السيطرة على أهواء النفس وعدم ارتكاب الخطيئة، وهذا ناتج عن عفة هؤلاء الشعراء والتزامهم بطرفي الثنائية الأساسية (التقاليد العربية / والقيم الإسلامية).

(لقد جمع الشاعر العذري بين الصدق في الحب والعفة في أنفس فكان نصيبه الحرمان والموت حبا وإيمانا دينيا) تتجلى قدرة العاشق في خطابه⁽³⁹⁾، كما قال جميل⁽⁴⁰⁾:

لمحة تاريخية عن الغزل العذري

يقولون جاهد يا جميلُ بغزوةٍ	وأَيُّ جِهَادٍ غَيْرُ زُهْنٍ أَرِيدُ
لكل لقاءٍ نلتقيه بشاشةً	وكلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ

والحب العذري يعد من النوع الذي يعيش فيه العقل مرتبط بالقلب، أنه حب لا يخلطه برد التعقل وتظله سحب الفكر وإنما يمضي بصاحبه في كل حيز حشن، وصعب، ويقذف به فوق الرمال المبتوثة يشتهي بها، يوقد النار ويحترق بها، ونستطيع أن نقول:

(إن الحب العذري هو الحب الذي يتصف بالديمومة الدائمة، والعفة المحصنة، ومن هذه الأفانيم يتألف جوهره وتقوم ذاته أنه يجمع هذه الصفات في نفس واحدة، ثم يدعها تن وتشكو، وتتضرع وتتلوى ... وليس الغزل العذري إلا اعتصارا لهذه الضراعة وهذا الأنين)⁽⁴¹⁾.

كما قال قيس لبني⁽⁴²⁾:

ألا ليت لبني في خلإٍ تزورني فأشكو اليها لوعتي ثم ترجعُ

فقد تمنى الشاعر الخلوة بالحبيبة لأجل أن يشكو لها ثم ترجع: وبهذه العبارة الرقيقة أفصح قيس لبني عن عذريته وعفته، أنه يريد أن ييئها ألمه وحزنه لأنها الحبيبة الصافية له الحاملة لهمومه. كما أفصح عن هروبه بسبب الرقيب الاجتماعي.

وهنا تبرز المرأة ركنا أساسيا في الثننات العامة (الروح / والجسد) (القحط / والخير) (التفاؤل / والتشاؤم) (الخضرة / واليابس) (النور / والظلام) (الحياة / الموت) (الأمل / واليأس) (الصعود / والهبوط) (الكرم / والبخل) ثنائيات تعالج واقع الشاعر فهي تشغل مكانة مميزة في نصوص الحب العذري: فهي رحمة ونقمة في أن

واحد، وهي إقبال وإدبار وهي وصل وهجر وهي أمل الحاضر وذكرى الماضي، أي إنها مركز عذاب الشاعر وسبب همومه وأحزانه في الحياة ومصدر سعادته وهنائه، كما كانت بؤرة الإشعاع لوجوده في الحياة⁽⁴³⁾.

والغزل العذري هو المظهر الفني للعواطف المنبعثة والملتهبة في أن واحد فقد وجدت أن هذا التعويض الفني هو خير ما تطفئ به لهيبها وتتسامى به غرائزها⁽⁴⁴⁾، وهو حب صادق عفيف، والعفة أول صفاته وأبرز علاماته⁽⁴⁵⁾،

فجعل جميعهم العفة التي أكد عليها الإسلام علامة للحب العذري، لذا عمد شعراء الحب العذري إلى نقل الأفكار الإسلامية إلى شعرهم وكان للقرآن الكريم أثر كبير في قصائدهم فإن لم تكن الكلمة الشاردة لغة فإن التغيير بما يكون دائما على وجه التقريب لأنها هي، ويظل للكلمة في موضعها من القرآن سموها البياني الفريد لا تؤديه كلمة أخرى مهما تبدو قريبة أو مرادفة له⁽⁴⁶⁾.

لذا ظهر أثر القرآن في الدواوين الأربعة من حيث الألفاظ والأفكار فكانت إشعارهم نفحات إسلامية واضحة .
وكما ورد في قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)⁽⁴⁷⁾ فالشعراء العذريون خافوا مقام ربهم ونهوا النفس عن الهوى فجاءت افكارهم معبرة عن روح الاسلام كما في قول جميل⁽⁴⁸⁾:

فقلْتُ له : فيما قضَى الله ما ترى عليّ ؛ وهل فيما قضى الله من رَدِّ

فإن فكرة القضاء والقدر من الأفكار التي رسخت في ذهن العربي ووجهت أعماله كما ورد في قوله تعالى:

(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا)⁽⁴⁹⁾ وقد تأثر جميل بهذه الآية إذ قال: أن حب بثينه من قضاء الله وقدره.

الخاتمة

الغزل العذري هو الذي نجد آثاره ممتدة منذ العصر الجاهلي إلى ما بعد الإسلام وفق مشاعر الشعراء و طبائعهم التي تنعطف بهم إلى الإباحة حيناً و إلى العفة حيناً آخر لكنه ما كان إلا إشارات خفيفة فما سُمي باسم مستقل كسائر الفنون. أما في العصر الأموي فمهّدت السبيل لتطوّره كنوع مستقل أصبحت له خصائص ومزايا انفرد بها عن الغزل الإباحي والصريح ومن مكونات الغزل العذري بؤس وحرمان مما جرالشعراء إلى حال اليأس والزهد وصفاء النفس فظهر في شعرهم الروح الإسلامية التي ركّزت على صداقة المحبّ وعفاف المحبوب. بهذه المزايا الجليلة نرى أن العصر الأموي هو المنبت الأساسي للغزل العذري العفيف.

الهوامش

- (1) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري / د. يوسف حسين بكار، دار المعارف بمصر، 1971 / 13.
- (2) الشعر العربي بين الجمود والتطور / محمود عبد العزيز كفراوي، مكتبة تحفة مصر، الطبعة الثانية، 1378 هـ - 1985 م / 54.
- (3) الغزل العذري في العصر الاموي وآراء المحدثين فيه / سندس محمد عباس السعيد، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة القادسية، 2005 / 47.
- (4) صفحات دراسية بين القديم والحديث، د. عباس الحراري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص/70.
- (5) الحب المثالي عند العرب، د. يوسف خليف، دار المعارف بمصر سلسلة إقرا، 1961 / 5 - 6.
- (6) دراسة الحب في الادب العربي، مصطفى عبد الواحد، وما بعدها دار المعارف بمصر، 1972 / 266.
- (7) الحب العذري نشأته وتطوره، أحمد عبد الستار الجوّاري دار الكتاب العربي، القاهرة، 1984 / 57.
- (8) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية + د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط 2 / 14-15.
- (9) الحياة الادبية في عصر بني امية + محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3، 1973 / 122؛ وينظر: الحب العذري + موسى سليمان، دار العلم للملايين، بيروت، 1974 / 24 - 25.
- (10) الغزل تاريخه وأعلامه، عمر بن ابي ربيعة وجميل بثينة، جورج غريب دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1975 / 21.
- (11) ديوان عنتر بن شداد / تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، الطبعة الأولى، 1986.
- (12) الغزل العذري في شعر مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية، أحمد حياوي السعد أطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة البصرة، اذار 1998 / 14.
- (13) سورة النور، الآية/ 33.

- (14) الغزل في الشعر الحديث في مصر من سنة 1850 – 1969 ، سعد دعبيس ، المكتبة الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، الطبعة الأولى 1971 / 20.
- (15) حديث الأربعاء / دكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ، القاهرة 1962 ، 1/187.
- (16) في الشعر الاسلامي والأموي / د. عبد القادر القط ، دار النهضة ، بيروت 1976 / 78 – 110.
- (17) المصدر نفسه ، 97 – 98.
- (18) ديوان مجنون ليلى / جمع وتحقيق وشرح عبد الستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة والنشر ، ص/165.
- (19) ديوان كثير عزة / جمع وشرح د. احسان عباس ، نشر و توزيع دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1971 ، 97.
- (20) ديوان مجنون ليلى / جمع وتحقيق وشرح عبد الستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة والنشر ، 84 .
- (21) اتجاهات الشعر في العصر الاموي / صلاح الدين الهادي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 436/1986.
- (22) جميل بشينه / العقاد ، مطبعة المعارف ومكنتها بمصر ، ط3 ، 19.
- (23) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي / 436 .
- (24) الغزل في الشعر الحديث في مصر، سعد دعبيس / 21.
- (25) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي ، بالولاء ، أبو العباس امير خراسان ، ومن اشهر الولاة في العصر العباسي ، كان المأمون كثير الاعتماد عليه لانه تبناه ورياه ، الأعلام : ط2، 3 / 226.
- (26) العقد الفريد – لابن عبد ربه ، دار المعارف بمصر القاهرة 1973 / 1 230.
- (27) طوق الحمامة بين الألفة والآلاف + ابن حزم الأندلسي، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 / 60 .
- (28) جدل الحب والخير والجمال : د . هناء جواد ، مجلة جامعة بابل – المجلد العاشر – العدد الاول / 2004 .
- (29) طوق الحمامة، ابن حزم الأندلسي، ص/ 302 .
- (30) سورة الواقعة ، الاية / 36 .
- (31) سورة الرحمن ، الاية / 56 .

- (32) الحب عند العرب ، عادل كامل الالوسي ، الدار العربية للموسوعات - بيروت 1999 / 185 .
- (33) خطاب العاشق ، ميثولوجيا ورؤيا من عشتار سيدة الحب الاولى الى المتنبي عاشقة ، محمد الجزائري ، مكتبة الرائد العلمية ، دار الشروق ، 125 / 1996 .
- (34) ديوان مجنون ليلى / جمع وتحقيق وشرح عبد الستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة والنشر، ص/115.
- (35) الجيب / هو فتحة الصدر والقميص والدرع - قال تعالى : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِيُؤَلِّقَهُنَّ) سورة النور: الآية/31.
- (36) ادريس / نبي الله ادريس (عليه السلام) للتعريف به مراجعه قصص الأنبياء لابن كثير القرشي الدمشقي / الطبعة العاشرة/ 57.
- (37) شعر الحب في العصر الأموي، دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون ، هناء جواد عبد السادة، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، 9/1995.
- (38) العشاق الثلاثة - زكي مبارك ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، 17 .
- (39) خطاب العاشق، محمد الجزائري / 127.
- (40) الديوان قيس ولبني / جمع وتحقيق وشرح ، د. حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة / 64-67.
- (41) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة / شكري فيصل، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت / 288 .
- (42) قيس ولبني / جمع وتحقيق وشرح ، د. حسين نصار ، مكتبة مصر، القاهرة 99.
- (43) شعر الحب في العصر الأموي، هناء جواد عبد السادة / 15 .
- (44) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام، شكري الفيصل، ص/ 237 .
- (45) المصدر نفسه / 287 .
- (46) الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق / د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) دار المعارف بمصر، ص/750.

(⁴⁷) النازعات / 40 – 41 .

(⁴⁸) ديوان جميل (شاعر الحب العذري) جمع وشرح وتحقيق، د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر ص/74 .

(⁴⁹) الأحزاب / 38 .